ماذا لو أننى

كتاب ؟

1



بقلم : عبد التواب يوسف

رسوم : سها سليمان

الدار المصرية اللبنانية

سلسلة ماذا لو أننى 1

ماذا لو أننى كتاب ؟

بقلم : عبد التواب يوسف

رسوم : سها سليمان



الدار المصرية اللبنانية

الطفل: ماما، ماذا يحدث لو أننى أصبحت كتابًا؟

الأم : لست أدرى. من أين تأتيك هذه الأفكار؟

الطفل: من السماء أحيانًا.. من الهواء.. من رأسى.

الأم : حاول أن تجيب بنفسك عن سؤالك الغريب هذا.

الطفل: ما أول شىء تفعلينه يا أمِّى لو أنكِ وَجَدْتِينِى كتابا؟

الأم : أضعك فى المكتبة وسط الكتب.

الطفل: لا لا.. هل هذا معقول؟

الأم : ولِمَ لا؟ .. الكتاب يكون بين الكتب.

الطفل: هل تعتبريننى كتابًا عاديا يُوضَع بين الكتب، لا أكثر ولا أقل؟

الأم : وماذا يمكننى أن أفعل غير ذلك؟ قُل لى أنت.

الطفل: لست أدرى. أليس من الممكن أن يكون لى مكان خاص، ومكانة كبيرة؟

الأم : من الممكن، ومن الممكن أيضًا أن أضعك على رف وحدك.

الطفل: أأنا أُوضَعُ على الرف يا أُمى؟

الأم : ألم تصبح كتاباً.

الطفل: كان الأفضل من ذلك أن تقولى لى: أقرؤُك.



الأم : أنا ولدتُكَ وقرأتك وعجنتك وخبزتُكَ.. أنت قطعة منى.

الطفل: إذن ألن تَقْرَئيننى، إذْ يحتمل أن تجدى ماهو جديد؟ إنَّ الواحد منا حين يحب كتابًا يقرؤه أكثر من مرة؟

الأم : من الممكن فعلاً أنْ أفكر أَنْ أقرأَكَ، وأَرَى ما بداخلك.

الطفل: كم صفحة ياماما سوف أكون؟

الأم : ليس أقل من خمسين صفحة.. كما قررت «منظمة اليونسكو».

الطفل: وهل سيكون بداخلى صور؟

الأم : أكيد، وصور ملونة أيضًا.

الطفل: ومن سيكون المؤلف؟

الأم : المؤلف؟.. أنت.

الطفل: حسنًا، وأى نوع من الكتب سوف أكون؟

الأم : لست أدرى. أنت شخصيا تحب أن تكون أىَّ نوع من الكتب؟

الطفل: من الممكن أن أصبح كتابًا فى الرياضيات، أو الهندسة، أو الجبر.

الأم : من الممكن. ومن الممكن أن تصبح كتابَ عُلومٍ، كيمياء، أو فيزياء، أو أحياء.



الطفل: حلوة «أحياء» هذه ! أنا أحب أن أكون «أحياء».

الأم : إن الأحياء منها الحيوان والنبات.

الطفل: هذا أفضل من أن أكون جمادًا، مجرد كتاب: ورق، وغلاف، وحروف، وكلمات، وصور، و...

الأم : ما رأيكَ لو أصبحتَ كتاباً فى الجغرافيا؟

الطفل: فكرة لا بأس بها.. سوف يكون فىَّ كُلُّ العالم.. إفريقيا، وأوربا، وآسيا.

الأم : والمحيطات، والبحار، والأنهار.

الطفل: والمناخ : ثلج فى القطبين، ولهيب عند خط الاستواء.

الأم : وعواصف، وأمطار، و...

الطفل: لا داعى لهذه.. حتى لا يبتل ورقى ويطير.. وأتعرض للتمزق.

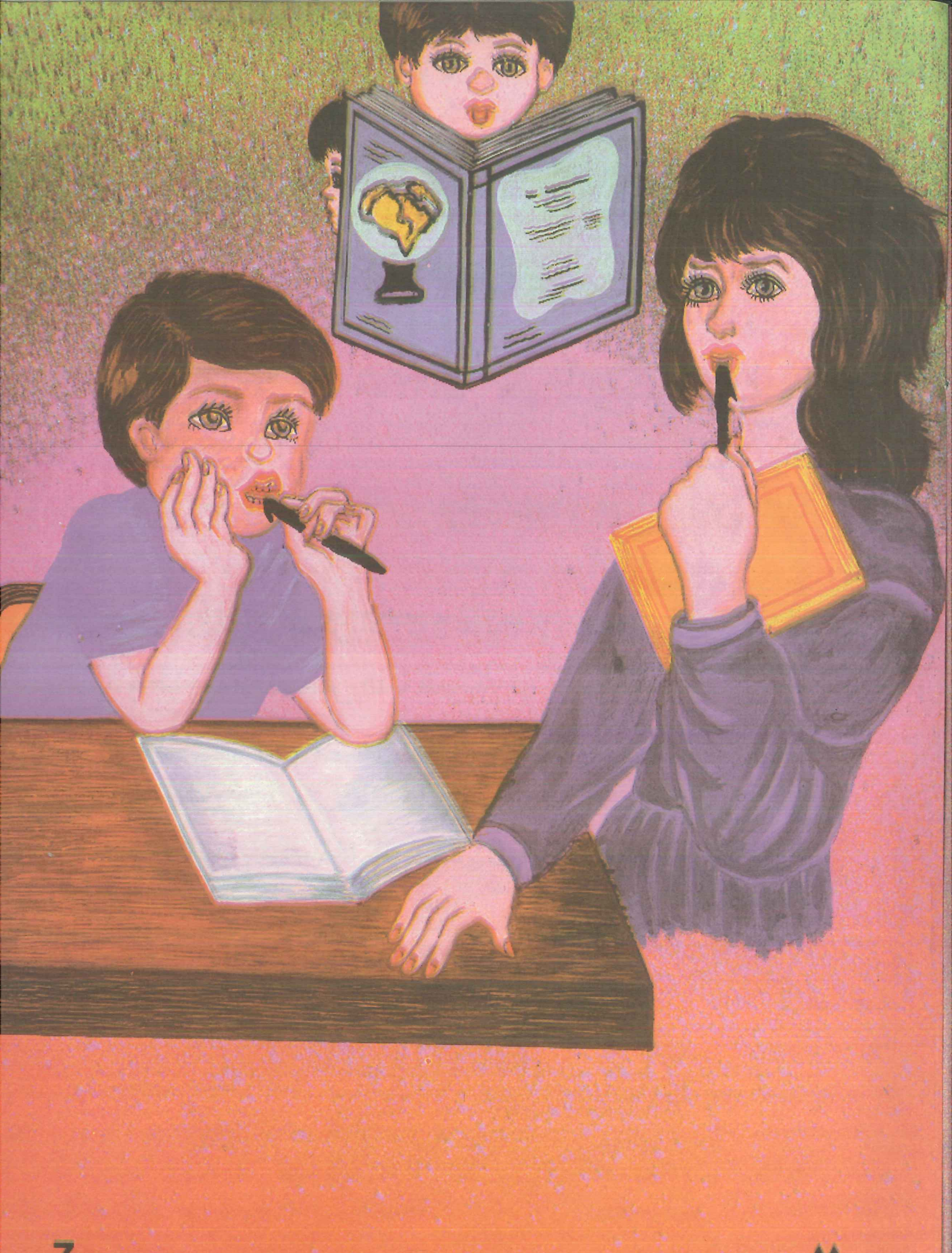
الأم : وتصير مثل بعض الكتب المدرسية فى يد بعض التلاميذ المهملين.

الطفل: حقا بعض الكتب منظره يدعو للأسف والرثاء!! شىء يحزن.

الأم : طبعًا أنا لا أحب أن تكون كتابًا على هذه الصورة.

الطفل: ولا أنا أرضاها لنفسى، لابد أن أكون كتابًا محترمًا.

الأم : كيف؟ ماهو الكتاب المحترم فى تقديرك؟



الطفل: الكتاب «المرجع».. دائرة المعارف.. القواميس.. الأطالس، الكتب التى يرجع إليها الناس فى كل حين.

الأم : حلو أنك تكون هذا، لكن من رأيى أن كل الكتب يجب أن تُحترم.

الطفل: هذا رأيى أنا أيضًا، لكن كتب المدرسة بعض التلاميذ يسيئون إليها.

الأم : نحن ننحيها جانبًا من موضوعنا، ألا تحب أن تكون كُتابًا «عربيا»؟

الطفل: وهل من الممكن أَلاَّ أكون عربيا؟

الأم (ضاحكة): أقصد فى اللغة العربية.

الطفل: نعم، ولِمَ لا؟ هل يرفض أحد أن يكون كتابًا عن «لغة القرآن»؟

الأم : جميل منك هذا. هل يضايقك إنْ كنت كتابًا فى القواعد والنحو؟

الطفل: لا، المهم أَلاَّ يُضايق مَنْ يَقْرَؤُنى ويدرسنى.

الأم : أم تفضل فرعًا آخر فى اللغة العربية؟

الطفل: طبعًا أفضل أن أكون كتابًا فى الأدب: أن أكون شعرًا، أو رواية، أو قصة، أو مسرِحية.



الأم : فكرة.. لو أنك كنت قصة، فأى قصة تكون بالضبط؟ علاء الدين؟ أم السندباد؟

الطفل: لا.. أنا أحب أن أكون أنا.. وليس شخصاً آخر.

الأم : إذن أتحب أن تكون القصة عنك.. عن سيرة حياتك مثلا؟

الطفل: لمَ لا؟ أنا أحب أن أقرأ السيرة الذاتية لحياة العظماء، التى يَكتبونها بأنفسهم.. أو «السيرة» التى يكتبها الآخرون عنهم..

الأم : وهل أصبحت من العظماء، وستكتب سيرتك الذاتية بنفسك؟

الطفل: ولِمَ لا يكتبها شخص آخر؟

الأم : أنت قلت «سيرة ذاتية» هذا معناه أن يكتب الواحد عن نفسه: مثلما كتب طه حسين «الأيام»، والمازنى كتب «إبراهيم الكاتب» و«إبراهيم الثانى»، وزكى نجيب محمود كتب «قصة عقل»، و «قصة نفس». أما كلمة «السيرة» فقط فمعناها أن يكتب شخص آخر عن حياة أحد المشاهير أو الناس، مثل أن يكتب أحدهم سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وسيرة الصحابة والتابعين، وسيرة فرسان الإسلام.. أو عن صلاح الدين الأيوبى، وشجرة الدر، هل عرفت الفرق؟

الطفل: نعم عرفت الفرق. لكن لو أصبحت كتابًا فأين يتم نَشْرِى وطباعتى؟



الأم : فى بلدنا، فهى من أقدم البلاد حضارة، وأول البلاد فى الدنيا التى عرفت الكتاب ودخلتها المطبعة. ثم إن وطننا العربى الكبير هو أول بلد عمل كتابًا من ورق البردى. أضفْ إلى ذلك أننا أمة «اقرأ». وتذكر، أن الطباعة فى بلَدنا قد تقدمت.

الطفل: وكم نسخة منى سوف تتوافر فى الأسواق يا أُمَّاه؟

الأم : نسخة وحيدة، هذا مؤكد، لأنه لا يمكن أن يكون هناك منك نسخة أخرى.

الطفل: ألأنى «فريد» فى بابى؟

الأم : بل لأنك ابنى، حبيبى، وحيد وفريد.. مؤكد أنك ستكون كتابًا نادرًا.

الطفل: من نادر هذا؟

الأم : «نادر» معناها أنه ليس يوجد منه الكثير.

الطفل: فهمت، ولكن يا أمى لو أصبحت كتابًا فهل ستحافظين علىَّ؟

الأم : بالتأكيد، كعينى وأكثر.

الطفل: كيف؟ هل تقومين بتجليدى مثلاً؟

الأم : ولِمَ لا؟ جلداً قويا وغالى الثمن، مثلما تلبس تماماً.

الطفل: فهل ستثنين صفحاتى؟

الأم : لا، أبداً. هل رأيتنى مرة أثنى صفحة كتاب؟





الطفل: هل ستتركيننى مفتوحًا، مقلوبًا عند الصفحة التى وصلتِ إلى قراءتها؟

الأم : لا لا. لدينا أشياء جميلة ورقيقة نعلم بها إلى أين وصلنا فى القراءة، بعضها من القطيفة التى لها أهداب، وبعضها شريط من الحرير... وهكذا.

الطفل: وهل تخططين فىَّ بالقلم؟

الأم : أمعقول ماتقول؟ ملاحظاتى أكتبها فى ورقة خارجية.

الطفل: آه .. هاقد وصلنا للمسألة الصعبة: «ملاحظاتك».

قالت الأم وهى تضحك: وما وجه الصعوبة فيها؟

الطفل: دائمًا ملاحظاتك قاسية إلى حد ما.. وانتقادك لى مستمر..

الأم : هذا لابد منه، حين يكون فى الأمر خطأ، فلابد أن يصلح الخطأ ويُقَوَّم.

الطفل: لكنْ أمَا من مرة لا أخطئ فيها؟ هل أنا على طول الخط أسيء وأُخطئ؟

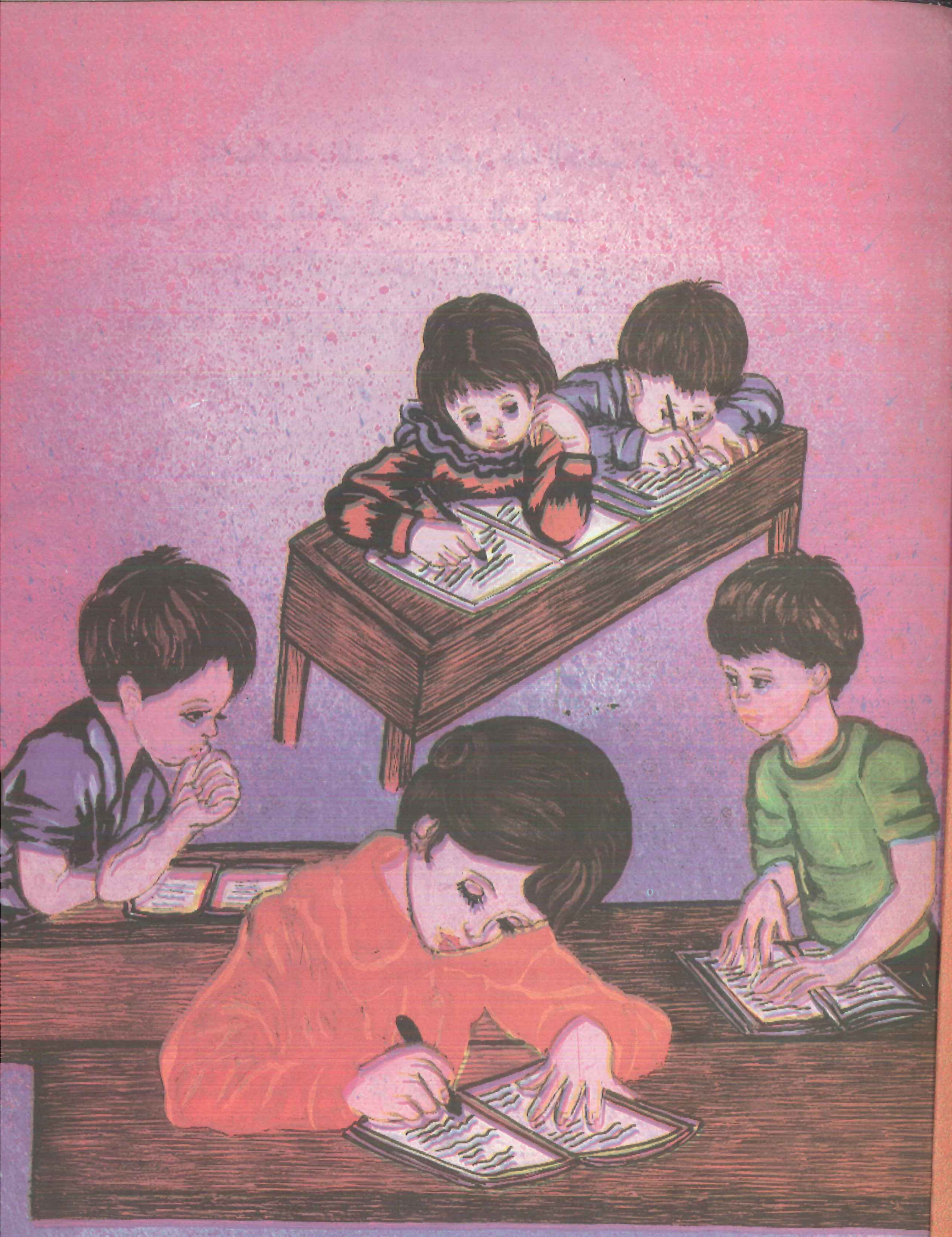
الأم : على قدر الخطأ تكون الملاحظة كبيرة أو صغيرة.. وليس أكثر.

الطفل: إذن لن تستعملى «القلم الأحمر»؟

الأم : لا أظننى أفعل ذلك.

الطفل: ولن تتركى ورقة تتمزق منى؟

الأم : ماذا؟ أممكن أن تتصور أنى أترك ورقة تتمزق من أى



كتاب؟ فما بالك حين يكون هذا الكتاب هو ابنى؟

الطفل: وهل من الممكن أن تعيرينى إلى أَحَدٍ.

الأم : مستحيل.. أنت ستكون كتابى أنا وحدى.

الطفل: ولا استعارة داخلية؟

الأم : ممكن، لبعض الوقت، أما الاستعارة الخارجية فلا يمكن.

الطفل: ممكن أيضًا لعمى أو خالى أن يأخذانى أتنزه معهما؟

الأم : هذا لا مانع منه.. استعارة لبضع ساعات فقط.

الطفل: ولو ذهبت إلى مكان بعيد؟

الأم : استعارة لمدة يومين أو ثلاثة على الأكثر.

الطفل: ماما.. إذا كنتُ كتابًا، هل سيكون هناك منى طبعات أخرى؟

الأم : أعتقد أنك لن تتكرر نسختك.

الطفل: كلامك حلو يا أُمَّاه .. أشعر أننى أستحق الحياة والوجود لأنك أُمِّى.

الأم : وهذا نفس إحساسى لأنك ابنى.

الطفل: حتى لو كنت «كتابًا»؟

الأم : أنت كتاب رائع، كل ابن هو أجمل كتاب تؤلفه الأم!.